وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العقود حالا وادومها
الفة واحمدها بدءا وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن
اتبع الدين انقاد له فاستقامت حاله وامن زلله ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم فاظفر بذات الدين تربت يداك وفيه تاويلان
احدهما تربت يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انها كلمة
تذكر للمبالغة ولا يراد بها سوء كقولهم ما اشجعه قاتله الله
وان كان العقد رغبة في الالفة فهو قد يكون على احد وجهين اما
ان يقصد به المكاثرة باجتماع الفريقين والمظاهرة بتناصر الفئتين واما
ان يقصد به تالف اعداء مستطلين استكفافا لعاديتهم وتسكينا
لصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في الاماثل واهل المنازل
وداعي الوجه الاول هو الرغبة وداعي الوجه الثاني هو الرهبة
وهما سببان في عقد المناكحين فان استدام السبب دامت الالفة
وان زال السبب بزوال الرغبة والرهبة خيف زوال الالفة الا ان
ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها والمقوية لها وان كان
العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقيقي المبتغى بعقد النكاح
وما سواه فاسباب معلقة عليه او مضافة اليه روي انه لما نزل
قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الرجل من التراب فهمته
في التراب وخلقت المراة من الرجل فهمها في الرجل وروي عن عطية بن
بسر عن عكاف بن وداعة الهلالي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له

يا عكاف

ولن تجد الاخلاق على ما وصفنا من حد المروءة منطبعة ولا عن
المراعاة مستغنية وانما المراعاة هي المروءة لا ما انطبعت عليه
النفوس من فضائل الاخلاق لان غرور الهوى ونوازع الشهوة
يصرفان النفس عن الافضل من خلائقها والاجمل من طرائقها وان
سلمت منهما وبعيد ان تسلم لما استكملت شرف الاخلاق طبعا
ولا استغنت عن تهذيبها تكلفا وتصنعا قال الشاعر

من لك بالمحض وليس محض • يخبث بعض ويطيب بعض

فثم لو استكمل الفضل طبعا وفي المعوز ان يكون مستكملا لكان
في المستحسن من عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من
حقوق المروءة وشروطها ما لا يتوصل اليه الا بالمعاناة ولا يوقف عليه
الا بالتفقد والمراعاة فثبت ان مراعاة النفس على افضل احوالها
هي المروءة واذا كانت كذلك فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها الا
من تسهلت عليه المشاق رغبة في الحمد وهانت عليه الملاذ حذرا
من الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام الطائي

والحمد شهد لا يرى مشتاره • يجنيه الا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه الذي • لم يوه عاتقه خفيف المحمل

وقد لحظ المتنبي ذلك في قوله

لولا المشقة ساد الناس كلهم • الجود يفقر والاقدام قتال

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام

والداعي الى استسهال ذلك شيئان علو الهمة وشرف

Copyright © King Saud University